

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية - غزة

عمادة كلية التربية

قسم علم النفس

المشاركة بورقة عمل لليوم الدراسي
الذي تقيمه كلية التربية بالجامعة الإسلامية بغزة
وكلية التربية بجامعة الأقصى بغزة
بعنوان:
"تحو وجهة إسلامية في علم النفس"
يوم الأحد الموافق ٣٠ / ٥ / ٢٠١٠م

بعنوان

العلاج النفسي في القرآن الكريم واقتباس الغرب له

إعداد

الدكتور/ عبد الفتاح عبد الغني الهمص

أستاذ الصحة النفسية المساعد

كلية التربية - الجامعة الإسلامية

غزة - فلسطين

٢٠١٠ / ٢٠٠٩

مقدمة :

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم أساساً لهداية الناس ولدعوتهم، إلى عقيدة التوحيد وتعليمهم قيماً سامية في التفكير والحياة.. ولإرشادهم إلى السلوك السوي السليم الذي فيه صلاح الإنسان وخير المجتمع ولتوجيههم إلى الطرائق الصحيحة لتربية النفس وتنشئتها التنشئة السليمة. قال الله تعالى: (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)، فديننا الإسلامي الحنيف يبعث على هدوء النفس.. واستقرارها وتهذيبها وتأديبها. وتؤدي العبادات جميعها قولاً وفعلاً إلى إحساس النفس بالراحة والرضا كما تؤدي إلى التخلص من مشاعر الإثم والذنب والقلق والتوتر والصراع والغضب والضيق والوهم والشك والريبة والكره والبغض:

على الرغم من كون البديل الإسلامي في علم النفس ليس فقط مجموع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن النفس الإنسانية، ولا هو الشروح التي ذكرت عنها في كتب التفسير والحديث فحسب، إلا أن الاستناد إلى هذه الآيات والأحاديث عند تحديد وجهة العلم وتحديد مفهوم الإنسان الذي يدرسه يجعل التأصيل الإسلامي لعلم النفس في جانب منه نوعاً من التفسير العلمي لتلك الآيات والأحاديث.

إن نسبة كبيرة من الأطباء والمعالجين النفسيين لا يهتمون بدور الدين في تشكيل مفاهيم الإنسان وسلوكياته.. كما أن الأطباء والأخصائيين النفسيين لا يتلقون تعليماً أو تدريباً كافياً حول دور الدين في الصحة النفسية، ويمكن أن يكون بعضهم لا يفهم معنى وأثر الإيمان والاعتقاد الديني في حياة مرضاهم؟! بل إنهم كثيراً ما يتجاهلون مناقشة هذه الموضوعات وكل ما يتعلق بها من مفاهيم ومشاعر!

من هنا انبثقت فكرة هذه الدراسة علّها تضيف شيئاً إلى الأدب التربوي وتساهم بشكل جاد للارتقاء بترسيخ الكلمة الصادقة والموضوعية في طرح الأفكار والمفاهيم المختلفة، منبثقة من كتاب الله عز وجل، ومن استن به من علماء المسلمين.

مشكلة الدراسة:

تحدد مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- ما المفهوم الإسلامي للعلاج النفسي؟
- ٢- ما أنواع العلاج النفسي كما وردت في القرآن الكريم؟
- ٣- ما أشهر علماء العلاج النفسي عند المسلمين؟

- ٤- ما أهم الأفكار التي طبقها العلماء المسلمون في العلاج النفسي ؟
٥- ما أشهر الأفكار العلاجية التي اقتبسها علماء الغرب عن العلماء المسلمين ؟

منهج الدراسة :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول وصف الظاهرة موضوع الدراسة في تحليل بياناتها ثم بيان العلاقة بين مكوناتها والآراء التي تطرد حولها والعمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها.

حدود الدراسة:

- ١- تشكل هذه الدراسة أشهر المعالجين النفسيين عرباً وغربيين وهم (مسكويه، أبو بكر الرازي، الغزالي، فخر الدين الرازي، ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، سيجموند فرويد، بافلوف، أبراهام ماسلو، جان بياجيه).
٢- جرت هذه الدراسة في عام ٢٠١٠.

أهداف الدراسة :

- ١- معرفة المفهوم الإسلامي للعلاج النفسي.
٢- معرفة أنواع العلاج النفسي كما وردت في القرآن الكريم.
٣- التعرف على أشهر علماء العلاج النفسي عند المسلمين.
٤- معرفة الأفكار التي طبقها العلماء المسلمون في العلاج النفسي.
٥- الكشف عن أشهر الأفكار العلاجية التي اقتبسها علماء الغرب عن العلماء المسلمين.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي :

- ١- الدراسة الأولى في حدود علم الباحث التي تؤصل للعلاج النفسي.
٢- قد تقيّد الدراسة المشتغلين بالعلاج النفسي وتوجه أنظارهم إلى اتجاهاته في القرآن الكريم.
٣- ربما تقلّل هذه الدراسة من هالة المعالجين النفسيين الغربيين من خلال إظهارها أن أصول العلاج النفسي عربية إسلامية.
٤- قد تفتح هذه الدراسة آفاق الباحثين لدراسات مماثلة على سور قرآنية أخرى ولدى علماء مسلمين آخرين.

مصطلحات الدراسة:

كَلِمَاتُ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةُ: وهو وَحْدٌ مِنْهُ الْمُنزَّلُ عَلَى خَلْقٍ مِنْ آدَمِ إِذْ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَكْتُوبُ فِي الْمُهَيْنِ بِلُغَتِهِ أَوْ الْمُنْقَلَبُ مِنْهَا، الْمُنْقَلَبُ بِدَوْنِ بَدَلِهَا، الْمُنْقَلَبُ بِدَوْنِ بَدَلِهَا، الْمُنْقَلَبُ بِدَوْنِ بَدَلِهَا.

العلاج النفسي : العلاج النفسي تسمية جامعة لكل طرق المعالجة النفسية العيادية أو النفسية التي تهدف إلى شفاء الأمراض النفسية أو المعاناة النفسية الجسدية وإلى تنمية الشخصية، وعندما نقول أن المعالجة نفسية فهذا يعني استخدام الطرق العلاجية النفسية فقط وليس أي شكل آخر من العلاج (كالعلاج النفسي الدوائي)، أي أن العلاج النفسي يعرف من خلال استخدام طرق التأثير النفسية (رضوان، ٢٠١٠).

إجابة السؤال الأول : ما المفهوم الإسلامي للعلاج النفسي؟

هو علاج يقوم على أسس ومفاهيم ومبادئ وأساليب دينية روحية أخلاقية مستمدة من تراثنا الإسلامي، وديننا الحنيف (زهران، ٢٠٠٢: ٣٤٦).

كما عرفه (الهمص، ٢٠٠٢: ١٣) بأنه: " عملية تقوم على التربية والتوجيه والإرشاد للفرد، بهدف تعزيز ثقته بنفسه، وتقوية علاقاته بربه، وزيادة تمسكه بالقيم والأخلاق، وهو في نفس الوقت توظيف للعبادات والأوراد والأدعية والأذكار، من أجل تحقيق الطمأنينة النفسية".

ولقد تناولت كثير من الدراسات المنحى الإسلامي في علاج بعض الاضطرابات النفسية التي قد يعاني منها بعض المرضى النفسيين والناجمة عن بعض الضغوط الاجتماعية التي يعانون منها، فقد بينت إسعاد البنا (١٩٩٠) أثر الأدعية والأذكار كأحد طرق العلاج النفسي الديني في التخفيف من مستوى القلق (سري، ٢٠٠٠: ٢٦٣).

ومن المآثرات الواردة والتي تستخدم في العلاج النفسي في القرآن الكريم ، الصلاة، قال تعالى: " واستعينوا بالصبر والصلاة" (البقرة، آية: ٤٥)، وكذلك كما ورد في الحديث، عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يا بلال أرحنا بالصلاة" (مسند أحمد، ب.ت: ٣٦٤ / ٥).

والصلاة على اسمها صلة بين العبد وربه، وقرآنة القرآن علاج لكل داء، قال عز وجل: " ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .." (الإسراء، آية: ٨٢).

فديننا الإسلامي الحنيف يبعث على هدوء النفس.. واستقرارها وتهذيبها وتأديبها، وتؤدي العبادات جميعها قولاً وفعلاً إلى إحساس النفس بالراحة والرضا كما تؤدي إلى التخلص من مشاعر الإثم والذنب والقلق والتوتر والصراع والغضب والضيق والوهم والشك والريبة والكره والبغض.

إجابة السؤال الثاني: ما أنواع العلاج النفسي كما وردت في القرآن الكريم ؟

للإجابة على هذا السؤال تناول الباحث بعضاً من الآيات القرآنية التي وردت في السور، مبيناً أن القرآن الكريم يقف صامتاً أمام الظواهر الطبيعية والإنسانية، بل تحدث عنها مبيناً العلاقة بين أسباب الطبيعة وأسبابها الغيبية، فكان لا بد من بيان استمرار التفسير الإسلامي لهذه الظواهر حتى بعد اكتشاف جوانب من علاقاتها الوظيفية، فالتفسير الإسلامي يبدأ مع التفسير العلمي ويستمر بعده ليحجب عن تلك المراحل التي لا يملك العلم التجريبي إجابة عنها، وهناك اتجاهات ثلاثة تهدف إلى جعل التفسير العلمي للظواهر جزءاً من التفسير الإسلامي لها وليس مقابلاً ومزاحماً له، فيكون التفسير العلمي تفسيراً علمياً بمعنى خاص، والتفسير الإسلامي تفسيراً علمياً بمعنى عام.

النوع الأول : ويرمي إلى توسيع معنى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ذكرت آيات الله في الآفاق والأنفس، وهدف هذا الاتجاه بيان الانسجام بين تفسير الظواهر بأسبابها قال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقوا إلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) (الغاشية، ١٧-٢٠) عمد المفسر إلى كشف العلم في خلقه الجميل، والحكمة والإبداع والجمال الكامنة في تلك الخلق، واستدعى معلومات علمية عن السماء وكيف رفعت، وبين وجه الانسجام بيسن نسبة هذا الرفع للجاذبية ونسبته لمشية الله، وتحدث عن نصب الجبال وحكمة وجودها على الأرض وماذا كشفت العلوم من معلومات عن تكون الجبال وبروزها وارتفاعها ودورها في توازن الأرض، وتحدث عن تسطيح الأرض والعوامل الجيولوجية والجوية التي كونت المناطق المنبسطة منها وحاجة الإنسان إلى هذا الإنبساط لسكنه ومعشاه (توفيق، ٢٠٠٢: ٦١-٦٢).

النوع الثاني: ويرمي إلى بيان السبق العلمي للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعرضت لحقائق تم اكتشافها حديثاً، لتضاف شهادة أخرى إلى الشهادة البيانية والتشريعية بأن هذا القرآن من عند الله.

يسمى هذا النوع بالإعجاز العلمي تمييزاً له عن النوع الأول، وهو تفسير علمي كالأول، غير أن المحاذير فيه أكثر، خاصة إذا كان الربط بين آيات أو أحاديث ونظريات علمية قابلة للتغير المستمر، أمّا إذا كانت حقائق علمية فهي مجال للإعجاز، ومثال ذلك خلق الإنسان من

نطفة فعلاقة فمضغة، ثم تفسير كيفية التحول من نطفة إلى علقة إلى مضغة، فالأول حقائق علمية والثاني نظريات، والقرآن الكريم سيق إلى الإخبار بخلق الإنسان من نطفة إلى فلقية مضغة قبل أن يعرف الإنسان ذلك بمئات السنين لكنه لم يذكر كيفية هذا التحول، فبقي مجالاً للنظريات، فلا بد من عند تقرير السبق العلمي لبعض الآيات من التحفظ من النظريات العلمية، بل ومن القوانين العلمية أيضاً؛ لأنهما معاً عرضة للتغير، وإن كانت القوانين العلمية تتغير بدرجة أدنى.

فعندما توضع نظرية ما فإنها تحتفظ منذ وضعها بهامش من الخطأ وينقص في الأدلة والقرائن ولذلك تسمى نظرية، بينما قد تتمتع القوانين في البداية بتمام في الأدلة واستقرار نسبي في التفسير أو التعليل، لكنها تتغير أيضاً عندما يكون العلم في طور التحول الشامل نتيجة بعض الاكتشافات الكبرى، لذلك يفرق البعض بين السنن الإلهية (الحقيقة) والقوانين العلمية (رؤية الإنسان).

النوع الثالث: ويستخرج من مجموع الآيات القرآنية في موضوع علم معين، الوجهة الإسلامية لذلك العلم، ويتعلق الأمر بالعلوم الاجتماعية والإنسانية؛ لأن موضوعها هو موضوع الخطاب القرآني - الإنسان -، إن الموقف الغربي من التفسير الديني لم يقتصر على أوروبا وحدها؛ بل أصبح موقفاً عاماً يسود فلسفة العلوم في أنحاء الأرض، ومن ذلك العالم الإسلامي، وأصبح من الواجب على من يملك صورة أخرى لهذه العلاقة أن يعرف بها ليراها الناس: صورة الدين الذي يزود العلم بمناهج وأخلاق ومعلومات وتوجيهات في التطبيق، ويأخذ في المقابل من كشافه ما يشهد لصدق عقائده وعدل شرائعه.

إن هذه الصورة الغربية على عالم اليوم لن تظهر إلا بدراسات من جنس الدراسات التي أشاعت الموقف الآخر، ولكي نمضي خطوة أخرى في استجلاء موقف القرآن الكريم من مشروع التأصيل الإسلامي لعلم النفس نتعرف على بعض من المعاني التي وردت بها كلمة (نفس) في القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية، د.ت: ٧٤١ - ٧٤٢).

النفس من الألفاظ المشتركة مثلها مثل كثير من كلمات القرآن التي يعرف المقصود بها حسب مكانها من السياق مثل: الهداية والدين والصلاة والزكاة والموت والحياة.

١- النفس : ذات الشيء وحقيقته ونفس الإنسان بهذا المعنى جملة من الجسم والروح كما في قوله: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) وقوله تعالى: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وقوله: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وقوله: (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) (البقرة، ٢٣١).

٢- النفس: الروح التي بها الحياة، فإذا فارقت حل به الموت، قال تعالى: " أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون " (الأنعام، ٩٣).

٣- والنفس مكان الضمير، وبهذا المعنى تضاف لله وللإنسان، قال تعالى: " ويحذركم الله نفسه" (آل عمران، ٢٨)، وقوله تعالى: " تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب" (المائدة ، ١١٦).

٤- والنفس صفة في الإنسان توجهه إلى الخير والشر، قال تعالى: " فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين" (المائدة ، ٣٠).

* والنفس صفة في الإنسان يكون بها الإحساس والإدراك وتفارقه في النوم، والنفس بصيغة الجمع لتبادل الشيء، والنفس للرجل والمرأة جنسه وقبيله، والنفس شخص معين (آدم عليه السلام) .

هذه معاني النفس في القرآن الكريم وعند التأمل فيها نجد أنها ترجع إلى معنيين أساسيين هما: أولهما: عام تترادف فيه النفس الإنسان، ويقابله في القرآن الكريم الآفاق. ثانيهما: خاص وتترادف فيه النفس الروح، ويقابله في القرآن " الطين" أو " الجسد" وبقية المعاني صفات للنفس بأحد معنييها.

إجابة السؤال الثالث: ما أشهر علماء العلاج النفسي عند المسلمين؟

أبو بكر الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الذائع الصيت وأعظم طبيب في الإسلام وفي العصور الوسطى في الشرق والغرب معاً (فروخ، ١٩٧٩: ٣١٨).

ولد في مدينة الري جنوب طهران، عام ٨٦٤م، وتوفي عام ٩٢٤م، له مؤلفات كثيرة منها (٢٣٢) كتاباً ورسالة أغلبها في الطب وبعضها في المنطق والطبيعيات، وما وراء الطبيعة والبصريات، وعلم النفس، وبعض من كتبه في علم النفس: كتاب كبير في النفس، كتاب في الفرق بين الرؤيا المنذرة وبين سائر ضروب الرؤيا، كتاب في المحبة، كتاب في الأوهام والحركات النفسانية، وكاب الطب الروحاني (نجاتي، ١٩٩٣: ٣٩).

مسكويه: هو أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه، ويطلق عليه اسم أبي علي الخازن، ولقب بالخازن؛ لأنه كان خازناً للكتب عند الملك عضد الدولة بن بويه، ولد في الري عام ٣٣٠هـ، وعمر طويلاً ومات عام ٤٢١هـ، وكان مسكويه معاصراً لابن سينا (بدوي، ١٩٨٠: ٢٠-٢١).

وكتب مسكويه في الطب والتاريخ والأخلاق، وعلم النفس، ومن أشهر كتبه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، وكتاب الفوز الأصغر، وكتاب السعادة، وكتاب رسالة في اللذات والآم في جوهر النفس، وكتاب أجوبة وأسئلة في النفس والعقل، وكتاب طهارة النفس (بدوي، ١٩٨٠: ٢٣).

الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المعروف بحجة الإسلام وزين الدين، ولد عام ١٠٥٨م، بعد ربع قرن من وفاة ابن سينا، وكان مولد في بلدة طوس إحدى مدن خراسان، ويقال إنه ولد في بلدة الغزالية وهي في ضاحية طوس، فهو إذن فارسي الأصل، توفي عام ١٠٨٥م، ألف كثير من الكتب في الفنون، الفقه وأصوله، علم الكلام، ومعتقدات السلف، والرد على الباطنية، وعلم الجدل، والفلسفة والمنطق، والتصوف، والأخلاق وعلم النفس، ومن أشهر كتبه في علم النفس: إحياء علوم الدين، ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس، وكيمياء السعادة، ومقاصد الفلاسفة، ومعيار العلم، وتهافت الفلاسفة. (نجاتي، ١٩٩٣: ١٦١).

فخر الدين الرازي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، الملقب بفخر الدين الرازي وهو مجدد دين الأمة على رأس المائة السادسة الهجرية، وأكبر مفكر إسلامي جاء بعد الإمام الغزالي (خليف، ١٩٧٧: ٦-٧).

ولد بالري وهي مدينة تقع شرق طهران عام ١١٥٠م، نشأ في أسرة معروفة بالعلم والفضل، توفي عام ١٢٢٠م في مدينة هراة، له مؤلفات عديدة قدّرت بما يزيد عن مائتي مؤلف، في التفسير وعلم الكلام، وأصول الفقه، والحكمة، والجدل، والنحو، والأدب، والطب، والهندسة، وعلم النفس، وعلم الفراسة، والأخلاق، والملل والنحل (ابن خلكان، د.ت: ٢٤٩)، ومن كتبه في علم النفس: كتاب النفس والروح وشرح قواهما، وكتاب المطالب العالية من العلم الإلهي، وكتاب الفراسة (ابن كثير، د.ت: ٥٥).

ابن تيمية: هو أحمد تقي الدين بن تيمية الملقب بشيخ الإسلام وهو سليل أسرة كريمة اشتهرت بالعلم والدين، ولد بحرّان سنة ١٢٦٣م، وعاش فيها بضع سنين ثم انتقل مع أسرته إلى دمشق سنة ٦٧٧هـ، عندما أغار التتار على حرّان واشتغل أبوه عبد الحلیم بن تيمية بالتدريس في الجامع الأموي بدمشق ودرس الفقه والحديث والتفسير وعلوم العربية، وكان يحضر رغم صغر سنه مجالس التدريس عند والده وغيره من العلماء، واشتهر بسرعة الحفظ وقوة الذاكرة، وشهد له بذلك أساتذته وتلاميذه، وأخذ في تفسير القرآن أيام الجمع في المسجد، وبلغ من بلوغه أنه تأهل للتدريس والفتوى قبل أن يتم العشرين من عمره، ثم قام بوظائف أبيه العلمية بعد وفاته وهو في سن واحد وعشرين سنة (موسى، ١٩٦٢: ٦٦-٧٠).

لابن تيمية مؤلفات كثيرة بعضها كتب مطولة، وبعضها رسائل صغيرة، في شتى موضوعات العلوم المعروفة في عصره: في التفسير، وأصول الدين، وأصول الفقه، وفي الفتاوى، وفي المنطق، والتصوف، والفلسفة، وما يهم الباحث ما تناوله ابن تيمية بموضوعات تتعلق بعلم النفسوهي: فصل في مرض القلوب وشفائها، رسالة في العقل والروح، وكتاب العبودية (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٦٨-٢٦٩).

ابن قيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين الشهير بابن قيم الجوزية ولد بدمشق سنة ١٢٩٢م ونشأ في أسرة كريمة ذات علم وفضل، فكان أبوه عالماً وقد كان ابن القيم من أركان الإصلاح الإسلامي شهد له العلماء بالفضل والعلم وعن ي بالحديث وفنونه، وبالفقه، والشريعة، وعلم الكلام، والتصوف، واللغة العربية، والنتح، وكان تلميذاً لابن تيمية وكان يحبه ويلزمه، ويؤيده في أقواله، وينتصر له، توفي عام ١٣٥٠م، ومن مؤلفاته في علم النفس خاصة: كتاب الروح، وكتاب تحفة المودود بأحكام المولود، وكتاب مفتاح دار السعادة، وكتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين، وكتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين، وكتاب رسالة في أمراض القلوب (شرف الدين، ١٩٨٤: ٦٧).

ناقش ابن قيم الجوزية كثيراً من الانفعالات والعواطف الهامة في حياة الإنسان، مثل الحزن والخوف والمحبة والشوق والعشق (ابن العريف، ٢٣٢: ١٩٨٠-٢٣٣).

إجابة السؤال الرابع: ما أهم الأفكار التي طبقها العلماء المسلمون في العلاج النفسي ؟

دعا علماء العلاج النفسي عند المسلمين إلى الأفكار التي ذكرت في القرآن الكريم ولكن بصورة مفصلة من خلال تطبيقات عملية لها وذلك على النحو التالي:

أولاً - أبو بكر الرازي: اعتبر أبو بكر الرازي الغم بأنه عرض عقلي يحدث من فقد المحبوب، وللتخلص من حالة الغم (الحزن)، أي حالة الاكتئاب التي تصيب الفرد، على فقده لأحبائه، والتي تكدر الفكر والعقل وتؤدي النفس والجسد، فلا بد من الاحتراس منه قبل حدوثه لئلا يحدث، أو يكون ما يحدث أقل ما يمكن، أو دفع ما قد حدث ونفيه كله، أو يضعف ما يحدث منه (الغزالي، د.ت: ١٥٦ - ١٥٧).

ولدفع الغم والحزن وأعراض الاكتئاب فقد اتبع الرازي عدة سبل في ذلك منها:

١- لما كانت أسباب الغموم هي فقد المحبوبين، ولما كان من غير الممكن تجنب فقدهم بسبب التغير الدائم للأحوال في هذه الدنيا، وجب أن يكون أكثر الناس وأشدهم غماً من كان محبوبيه أكثر عدداً، وكان لهم أشد حباً، والعكس صحيح، لذلك ينبغي على العاقل أن يتجنب أسباب الغموم بأن يتجنب الأشياء التي يسبب فقدها غماً، ولا ينبغي عليه أن يندفع بما تدثه له أثناء وجودها من متعة وحلاوة بل عليه أن يتصور ما يسببه فقدها من مرارة وألم (نجاتي، ١٩٩٣: ٤٧-٤٨).

٢- يحسن أن يكثر المرء من تصور فقد محبوبيه، ويذكر أنها ليست مما يمكن أن يبقى ويدوم، وأنه سوف يكون أكثر جلدأ متى حدث ذلك؛ فإن ذلك تمرين وتدرج ورياضة

٣- وتقوية للنفس على قلة الجزع عند حدوث المصائب، قال تعالى: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " (البقرة، ١٥٥-١٥٦).

٤- يمكن للمرء أن يحتال الاحتراس من وقوع الغمّ من فقد محبوبه بأن لا يجعل محبوب واحد لديه من محبوبيه حتى لا يفرد بحبه الشديد، بل يجب أن يفرد محبوب آخر ينوب عنها فقد.

وهكذا نرى بأن الرازي اتبع أسلوب العلاج النفساني السلوكي المعرفي، فهو يمد الفرد المطلوب علاجه من سوء الخلق، أو من العشق، أو من الغمّ ، بكثير من المعلومات المفيدة التي تعينه على الاقتناع بأهمية التخلي عن سلوكه المعيب السيء، وتعلم سلوك حسن مقبول بديلاً منه.

ثانياً - مسكويه: فقد عالج الخوف من الموت بعد أن بيّن أسبابه، فقال أمّا من جهل حقيقة الموت؛ فإن الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال البدن، والنفس جوهر غير جسماني، مفارق لجوهر البدن، فإذا فارق البدن بقي البقاء الذي يخصه، ونقي من الكدر وسعد السعادة التامة.

وأما من خاف الموت؛ لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه، فقد انحلت ذاته، وبطلت نفسه، وجهل بقاء النفس، وكيفية المعاد، فليس يخاف الموت على الحقيقة، ونما يجهل ما ينبغي أن يعلمه، فالجهل إذاً هو المخوف، أي هو سبب الخوف (فؤاد، ١٩٤٧: ١٧٥).

والخلاص من هذا الجهل هو العلم بأن النفس جوهر شريف إلهي، لذلك تخلّص من الجوهر الكثيف الجسماني، فقد سعد وعاد إلى ملكوته، وقرب من بارئه، وفاز بجوار ربه، وخالط الأرواح الطيبة من أشكاله وأشباهه، وأمّا من ظن أن للموت ألماً عظيماً غير ألم الأمراض التي ربما اتفق على أن تتقدم الموت وتؤدي إليه، فهذا ظن كاذب؛ لأن الألم إنما يكون للحي، والحي هو القابل أثر النفس، وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس؛ فإنه لا يألم ولا يحس ، فإذا الموت الذي هو مفارقة النفس للبدن لا ألم له (نجاتي، ١٩٩٣: ٩١).

وأما من خاف الموت لأجل العقاب الذي يوعد به بعد، فهو ليس يخاف الموت؛ بل يخاف العقاب، والعقاب يكون على شيء باق بعد البدن الدائر، فهو إذاً خائف من ذنوبه، لا من الموت، ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه أن يحذر ذلك الذنب ويتجنبه (فؤاد، ١٩٤٧: ١٧٧).

ومن خاف الموت لأنه لا يدري على ما يقدم عليه بعد الموت، فإن سبب هذا الخوف هو الجهل وعلاجه أن يعلم ويتعلم سلوك الطريق المستقيم الموصل إلى السعاد الأبدية.

يتبين لنا ممّا تقدّم أن السبب الحقيقي للخوف من الموت من وجه نظر مسكويه هو الجهل، وأن علاج هذا الخوف هو العلم، والعلم يبديد هذه الجهالات والظنون الكاذبة التي تتعلق بالموت، وبمصير الإنسان بعد الموت، والأسلوب الذي يعالج به مسكويه الخوف من الموت هو تعليم المصابين به جميع الحقائق المتعلقة بالموت، وتعريفهم الأسباب الحقيقية لخوفهم منه، وأنها في الحقيقة أوهام كاذبة لا أساس لها من الصحة، (وعلى ذلك يعتبر مسكويه رائداً للعلاج النفسي السلوكي المعرفي، فقد سبق المعالجين النفسانيين السوكيين المعرفيين المحدثين بحوالي عشرة قرون تقريباً) (نجاتي، ١٩٩٣: ٩٢).

ثالثاً - الغزالي: وعلى عجلة من الباحث سيكتفي بهذا العالم الجليل في أسلوبه في تعديل السلوك للفرد، فصحة البدن في اعتدال مزاجه، ومرض البدن ينشأ عن ميل مزاج البدن عن الاعتدال فالاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض (الغزالي، د.ت: ٥٧).

ويتم علاج البدن بمحو العلل عنه والعوارض التي أخلت باعتدال مزاجه، وكسب الصحة له برد مزاجه إلى الاعتدال، وعلاج النفس يتم بمحو الرذائل والأخلاق السيئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الحسنة إليها، وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال، وتعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال، فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، أي بالاعتقاد والتعليم تكسب الرذائل، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً؛ وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء، وكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم، وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخّي ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتبه تكلفاً (نجاتي، ١٩٩٣: ١٩٣-١٩٤).

ويصف الغزالي أسلوبه في علاج أمراض القلب بأنه سلوك مسلك المضاد لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، قال تعالى: " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى " (النازعات، ٤٠)، فعلاج الخلق أو السلوك الشيء هو تكلف فعل الخلق أو السلوك الحسن المضاد، والاستمرار على فعله حتى يصير عادةً وطبعاً، وبهذه الطريقة يزول الخلق أو

السلوك السيئ ويحل محله الخلق أو السلوك الحسن، وإذا كان الخلق السيئ المطلوب علاجه متأصلاً ومستقراً في السلوك، فالغزالي ينصح باتباع طريقة التدرج في علاجه، وذلك بأن ينقل الفرد من الخلق السيئ إلى خلق آخر أخف منه، ويستمر على هذا النحو حتى يتخلص نهائياً من الخلق السيئ المطلوب علاجه في الأصل (الغزالي، د.ت : ٦٢).

يلاحظ التشابه الكبير بين أسلوب الغزالي في استخدام طريقة التدرج في علاج الخلق السيئ وبين أسلوب الكندي وأبو بكر الرازي في استخدام نفس هذه الطريقة في علاج الأول للحن، وفي تخلص الثاني من الهوى والشهوات، وهذا ما بينه رب العالمين في القرآن الكريم في علاج تعاطي الخمر والربا، إذ لم يحرمها دفعة واحدة بل تدرج في ذلك، فقام بتغيير الناس منهما بطريقة تدريجية حتى انتهى الأمر بتحريمهما تحريماً تاماً، ولم يستخدم المعالجون النفسانيون السلوكيون المحدثون هذه الطريقة في تعديل السلوك إلا في القرن العشرين (نجاتي، ١٩٩٣: ١٩٤ - ١٩٥).

رابعاً - فخر الدين الرازي: عالج فخر الدين الرازي البخل بطريقة العلم، وكذلك بطريقة العمل، وكذلك الأخلاق الذميمة بالتدرج في تعديل السلوك وبذلك فإن طريقة الرازي لا تختلف عن طريقة الغزالي في علاجه البخل بطريق العمل، وهذا يشبه كثيراً الأساليب التي يتبعها المعالجون النفسانيون السلوكيون المحدثون في علاج اضطرابات السلوك، وبخاصة أسلوب علاج السلوك السيئ بضده (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٦٦).

خامساً - ابن تيمية: لم يهتم ابن تيمية بعلاج الأمراض النفسانية فحسب، بل اهتم أيضاً بالوقاية منها قبل حدوثها، فالواجب الاحتماء عن سبب الوض قبل حصوله، وإزالته بعد حصوله، فهكذا أمراض القلب يحتاج فيها حفظ الصحة ابتداءً وإلى إعادتها، فقد اعتبر ابن تيمية أن القرآن الكريم شفاء لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات، ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة والترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة، ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب فيما ينفعه، ويرغب عما يضره (نجاتي، ١٩٩٢: ٩٥).

وسيتناول الباحث نماذجاً لابن تيمية كأمراض نفسانية تم علاجها:

أ- **الحسد:** وهو مرض نفساني ويعني البغض والكراهة لما يراه الحاسد من حسن حال المحسود، وهذا الحسد نوعان: أحدهما: كراهة النعمة على المحسود مطلقاً، ويتألم الحاسد ويتأذى بوجود

النعمة على المحسود، ويتلذذ بزوالها عنه، وهذا هو الحسد المذموم، وثانيها أن يكره الحاسد فضل المحسود عليه، فيجب أن يكون مثله، أو أفضل منه، وهذا ما يسمى بالغبطة، وقد سمي ذلك حسداً؛ لأن مبدأه هو كراهة أن يكون غيره أفضل منه، أمّا من أحبّ أن ينعم الله تعالى عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شيء، وغالب الناس يبتلون بهذا النوع من الحسد، وقد يسمى هذا النوع أيضاً بالمنافسة، والتنافس ليس مذموماً مطلقاً بل هو محمود في الخير، قال تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون، تعرف في وجوههم نضرة النعيم، يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" (المطففين، ٢٢-٢٦).

فمرض الحسد شائع بين الناس وخاصة بين النساء المتزوجات منهن بزواج واحد، وهو يقع كثيراً أيضاً بين المتشاركين في رئاسة، أو مال إذا أخذ أحدهم قسطاً من ذلك وفات الآخر، وبين النظراء لكراهة أن يفضل أحدهما عليه كحد أخو يوسف عليه السلام، فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك في نفسه، وينهي نفسه عنه (نجاتي، ١٩٩٢: ١٣٣).

العشق وهو مرض نفساني وهو المحبة المفرطة الزائدة عن الجد المحمود، وإذا قوي أثر في البدن فصار مرضاً في الجسم، إما من أمراض الدماغ كالماليخوليا، ولهذا قيل فيه هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، وإما من أمراض البدن كالضعف والنحول ونحو ذلك (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٧٨).

ومريض البدن قد يشتهي ما يضره، فإذا لم يطعم ذلك تألم، وإذا أطعم ذلك زاد مرضه، وكذلك الثلق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدةً وملامسةً وسماعاً، بل ويضره التفكير فيه، والتخيل له، وهو يشتهي ذلك، فإن مَنع من مشتهاه تألم وتعذب، وإن أعطي مشتهاه قوي مرضه، وكان سبباً لزيادة الألم.

فالقلب خلق لأجل حب الله تعالى وهذه هي الفطرة التي فطر الله بها عباده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله عابداً له وحده، فحب الله وحده وإخلاص الدين له يقي القلب من حب أحد غيره، فضلاً عن الابتلاء بالعشق، والقلب المحب لله المنيب إليه، الخائف منه، يصرفه عن العشق أمران: أحدهما إنابته إلى الله ومحبته له فلا تبقى مع محبة الله محبة لمخلوق تزاحمه، وثانيهما: خوفه من الله، فإن الخوف الشديد من الله مضاد للعشق يصرفه.

ولما كانت الصحة سواء كانت صحة الأبدان أو صحة النفوس، تحفظ بالمثل، والمرض يدفع بالضد، فإن صحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح، فتلك أغذية له.

ويلاحظ ابن تيمية قد استخدم في علاج العشق أسلوب العلاج بالضد، وهو الخوف من الله تعالى، فالخوف هو ضد الحب، وعلاج الحسد بالتقوى وكراهية الحاسد ذلك في نفسه، وتقوى الله تعالى، وكراهية الحسد إنما يحدثان حالة نفسية مضادة للحسد وتعمل على مقاومته، فأساس علاج الأمراض النفسانية عند ابن تيمية هو إذن العلاج بالضد كما فعل ابن حزم والغزالي من قبل (ابن تيمية، د.ت: ١٣٦).

سأسا - ابن قيم الجوزية ردّ ابن قيم الجوزية آراء أستاذه ابن تيمية في المقارنة بين مرض البدن، ومرض القلب، أي مرض النفس، وفي طرق حفظ صحتهما، كما تناول ابن القيم أطوار نمو الإنسان بالدراسة فذكر ما جاء بشأنها في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وما وصل إليه علم التشريح في ذلك الوقت، فذكر قول الله تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون " (المؤمنون، ١٢-١٦).

فقد ذكر ابن القيم اختلاف العلماء في أول ما يتشكل ويخلق من أعضائه، هل هو القلب، أم الدماغ أم الكبد، وذكر الأدلة التي يستند إليها كل طائفة من هؤلاء العلماء (ابن قيم الجوزية، ١٩٧١: ٢٤٥-٢٤٧).

وذكر تكوّن حجب ثلاثة حول الجنين، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: " يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث " (الزمر، ٥)، كما ذكر بكاء الطفل عند ولادته لانفصاله عن الرحم، ومفارقتة لما ألفه واعتاده في جميع أحواله دفعة واحدة، كما يضحك الطفل عند الأربعين، وذلك أول ما يعقل نفسه، وإذا تم له شهران رأى المنامات، ثم ينشأ معه التمييز والعقل، على التدريج شيئاً فشيئاً حتى سن التمييز، فإذا دخل سن التمييز أمر بالصلاة، فإذا صار ابن عشرة ازداد قوة وعقلاً واحتمالاً للعبادات، فيضرب على ترك الصلاة، وبعد أن يصل الصبي إلى مرحلة البلوغ يأخذ في الدخول في مرحلة بلوغ الأشد، وهي مرحلة تبدأ من وقت بلوغ الإنسان مبلغ الرجال إلى أربعين سنة، ثم بعد الأربعين يأخذ الإنسان في النقصان وضعف القوى على التدريج، فيأخذ في الكهولة إلى الستين، ثم يأخذ في الشيخوخة، ثم تتحط قواه ويصبح هرمياً فإذا تغيرت أحواله وظهر نقصه فقد سار على أرذل العمر (ابن قيم الجوزية، ١٩٧١: ٣٠٠-٣٠٢).

تضح مما تقدم اهتمام ابن القيم الجوزية بمراعاة استعدادات الفرد في توجيهه التربوي، والمهني، وفي نموه منذ أن كان نطفة إلى أن يصبح شيخاً هرمياً وهو أمر عُنِي به علماء النفس المحدثون اهتماماً كبيراً.

إجابة السؤال الخامس: ما أشهر الأفكار العلاجية التي اقتبسها علماء الغرب عن العلماء المسلمين ؟

مهما بلغت محاولات المتحدثين قديماً وحديثاً في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية في وصف حالات الارتقاء الإنساني فإننا لم نجد وصفاً متكاملاً كما وصفه القرآن الكريم إذ جسّد القرآن الكريم التسلسل الإرتقائي الدقيق فغى عملياته المتوازنة والمتناهية في الشمول، والكمال، والرعاية، والمتابعة، قبل الوجود في أثناء الوجود، وما بعد الوجود حتى (العدم)، في حين أن النظريات النفسية والاجتماعية والتربوية مع اختلاف أبعادها ومضامينها وتنوعها وتعددتها فقد اهتمت بالجانب المادي وأغفلت الجانب الروحاني وهل نعقل أن نفهم الإنسان باستبعاد أحد عناصر تكوينه الذي هو كتلة من القضايا الروحية والنفسية والجسدية والفكرية والاجتماعية وجميعها متفاعلة الأجزاء مع بعضها بعضاً في رحاب الوجود الإنساني.

* النظرية التحليلية: لسليجيموند فرويد، فقد قدّم فرويد (١٩١٣) تصوراً بوطغرافياً، حيث قدّم محتويات العقل وعملياته إلى ثلاثة نظم عقلية وهي:

اللا شعور: وهو ذلك الجزء الي يشمل الدوافع والرغبات الجنسية كما أنه يشمل جانبين هما: الهو والاستجابات المكبوتة.

الشعور: وهو كل ما يمكننا تذكره من أفكار وأحداث ووقائع وهو يمثل الذات المدركة. الأنا الأعلى: أو الضمير وتظهر في بداية المرحلة التي يتعلم الطفل فيها ضبط إخراجها. وفي عام (١٩٢٣) قدّم فرويد فرضاً عاماً ونهائياً عن النظم العقلية وحدّد فيها ثلاثة تكوينات للجهاز النفسي يتضمنها علاقة وظيفية أطلق عليها:

الهو: ويمثل الدوافع الأساسية (الغرائز) ، والأنا: وتعد حلقة الوصل بين الهو والواقع الخارجي، والأنا الأعلى وتضمن المدركات الخلقية للفرد ومستويات طموحه المثالية، وإذا لم يكبح جماح الهو أدت إلى استثارة السلوك الحيواني الذي يهدف إلى الإشباع دون الاعتداء بالمحرمات والمعايير الاجتماعية والثقافية، ولهذا فإن الأنا لديه ترسانة من الميكانزمات: الدفاعية يستخدمها ضد اندفاعات الهو ومن هذه الميكانزمات التبرير، والكبت، والإسقاط، والنكوص، والتوحد، والامتصاص والعزل والإنكار... وجميع هذه الميكانزمات الدفاعية تعمل بدرجة ما في نمو السلوك السوي وغير السوي (أبو مرق، ٢٠٠٣: ١٢٤-١٢٥).

أمّا عن التحليل النفسي والجنس، فقد اعتبر فرويد أن الميل الأساسي في الإنسان هو الغريزة الجنسية أو الليبدو وفي حالة كبت هذه الغريزة فإنه يؤدي على العصاب، والدوافع الغريزية الجنسية غير الواعية تحتل المنزلة الأولى في نظريته في تفسيرها لعصاب، خاصةً، ويذكر زيعور (٢٤٢: ١٩٨٠) أنه يوجد نظام زمني وترابط تسلسلي في المراحل الغريزية

الجنسية بالمناطق المشبقة أي تلتكط المناطق من البدن التي تحدث إذارتها إشباعاً جنسياً تختلف هذه المناطق حسب مراحل العمر ونمو البدن.

أما عن مفهوم الدين عند فرويد فقد ذكر الطويل (١٩٧٧ : ٦٥) إن الدين أشبه بعصاب يجتازه الإنسان في أثناء تطوره، فالدين محاولة للسيطرة على العالم الواقعي الذي نعيش فيه بمساعدة عالم مثالي، ولكنها محاولة لايمكن أن يقدر لها النجاح.

أما عن الإسلام ونظرية التحليل النفسي، فقد استطاعت نظرية فرويد أن تضلل العالم عن طريق الفرضيات الجوفاء التي نادت بها، ألم يقصد باللاشعور (النفس الأمانة بالسوء) ، أليس المقصود بمنطقة الشعور (النفس المطمئنة) ، كما أن الأنا العليا ما هي إلا النفس اللوامة، قد يظن القاريء أنه لا يوجد فرق بين ما نادي به فرويد وما هو موجود في القرآن الكريم، ولكن الخطأ كل الخطأ في هذا الظن، إذ إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أقرأ بمبدأ التبدل والتغيير في سلوكيات الفرد طيلة مراحل نموه، وليس هذا فحسب في مرحلة الطفولة، قال تعالى: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (الرعد ، ١١) (شكري ، ٧٧٧:٢٠٠٠).

وبالتالي فإن الشخصية يمكن تحديد سماتها وصفاتها وخصائصها في مرحلة الطفولة ولا سيما في السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل، والسبيل الوحيد للتغير ما في النفس أو الذات هو الدين، فمن خلاله يحدث تطهير للنفس الإنسانية من سلوكياتها وعاداتها، غير المرغوبة أو السيئة قال تعالى: " رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي " (القصص ، ١٦).

أسقط فرويد مبدأ حق الاختيار في الإرادة وركز على جانب اللاشعور الذي وضعه على قمة الهرم في الرغبات والغرائز والدوافع الحيوانية اللاشعورية السابقة للإنسان فقط، وهذا التقييد لا يقبله الفكر العلمي الذي يعد في بداية الطريق لدراسة النفس الإنسانية وسلوكها، فهذا التصور لدور الإنسان مرفوض، فالله سبحانه خلق الإنسان ليكون خليفته في الأرض وكرمه عن باقي الحيوانات قال تعالى: " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (أبو مرق، ٢٠٠٣ : ١٢٨).

أمّا عن الظاهرة الجنسية فقد يكون فرويد محقاً في الإشارة إلى عمق الظاهرة الجنسية في حياة الإنسان وتشعبها، واتساع نطاقها وتداخلها مع النشاط الحيوي كله، ومع المشاعر والأفكار، ولكن الشطط يفسد كل الحقائق التي أشار إليها؛ لأنه يعطي صورة مزورة عن حقيقة الإنسان، ومن المعلوم بداهة أن الجنس ليس حياة الإنسان فحسب وإنما جزء من الإنسان وقد اقضت العناية الإلهية في بناء الكون أن تكون بنية الكون كلها أزواجاً حتى في الجماد.

* نظرية أبراهام ماسلو: حاول ماسلو أن يجمع بين بعض آراء فرويد وبعض أنصار المدرسة السلوكية منهم سكنر خاصةً، فهو يرى أن نمو الطفل عبارة عن عملية بناء طويلة الخبرات تتراكم الواحدة على الأخرى وذلك لتكون الشخص، ويقول أن التعلم عملية مستمرة لا حدود لها على مدى الحياة، فهو يركز على السلوك الموضوعي الملاحظ كما يصف التغيرات السلوكية وفقاً لمفهوم المثير والاستجابة والتعزيز والتعلم (أبو مرق، ٢٠٠٣: ١٣٤).

وأشار زهران (١٩٨٩: ٧٦) بأن ماسلو قدم بعض الآراء عن عملية النمو ومنها: أن كل فرد يولد وله طبيعة داخلية وأساسية وهذه الطبيعة الداخلية تشكلها الخبرات، والأفكار اللاشعورية والمشاعر، ولكنها لا تسيطر عليها تماماً فالفرد يسيطر على كثير من سلوكه، والطفل لا بد أن يتاح له فرصة الاختيار في مرحلة نموه، كما يؤدي الوالدان والمربون دوراً هاماً في إعداد الطفل للقيام بالاختبارات المتعلقة بإشباع حاجاته الأساسية ومساعدته، كما قدّم ماسلو تصوراً عن التدرج الهرمي للحاجات، وأكد فيه على ضرورة إشباع الحاجات الفسيولوجية قبل الاهتمام بإشباع حاجات الأمن، وهناك حاجات شخصية يليها اجتماعية، ثم تأتي في قمة الهرم الحاجات العقلية، وأكد على أنه لا يتم إشباع حاجة في قمة الهرم إلا بعد إشباع الحاجات التي في أسفله .

أما عن موقف الإسلام من نظرية أبراهام ماسلو، فالقرآن الكريم هو مصدر المعرفة، فالتعليم يهدف إلى تطوير شخصية الإنسان الشمولية بتهديب ذاته العقلية وعواطفه ومشاعره وقد حث القرآن الكريم على تطوير الإنسان في جوانب سيكولوجية الشخصية كافةً فهو السبيل المستقيم لتكامل الشخصية في حاجات تحقيق العبودية لله تعالى وهو الجانب الروحاني، قال تعالى: "ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم" (النحل، ٧٥-٧٦) يتبين من الآيتين أن الإسلام حدّد علاقات الإنسان بالأرض وبالعالم، فالإنسان كيان بيولوجي له حاجات حياتية وكيان اجتماعي له حاجات اجتماعية، وكيان عقلي له حاجات عقلية، لإضافة إلى كونه كياناً تاريخياً فهو يولد ويحي ويموت (أبو مرق، ١٣٦: ١٩٩٣).

فالتعليم يهدف إلى تطوير شخصية الإنسان الشمولية بتهديب ذاته العقلية وعواطفه ومشاعره وقد حث القرآن الكريم على تطوير الإنسان في جوانب سيكولوجية الشخصية كافةً فهو السبيل المستقيم لتكامل الشخصية في حاجات تحقيق العبودية لله تعالى وهو الجانب الروحاني، قال تعالى: "ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم" (النحل، ٧٥-٧٦) يتبين من الآيتين أن الإسلام حدّد علاقات الإنسان بالأرض وبالعالم، فالإنسان كيان بيولوجي له حاجات حياتية وكيان اجتماعي له حاجات اجتماعية، وكيان عقلي له حاجات عقلية، لإضافة إلى كونه كياناً تاريخياً فهو يولد ويحي ويموت (أبو مرق، ١٣٦: ١٩٩٣).

فالتعليم يهدف إلى تطوير شخصية الإنسان الشمولية بتهديب ذاته العقلية وعواطفه ومشاعره وقد حث القرآن الكريم على تطوير الإنسان في جوانب سيكولوجية الشخصية كافةً فهو السبيل المستقيم لتكامل الشخصية في حاجات تحقيق العبودية لله تعالى وهو الجانب الروحاني، قال تعالى: "ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم" (النحل، ٧٥-٧٦) يتبين من الآيتين أن الإسلام حدّد علاقات الإنسان بالأرض وبالعالم، فالإنسان كيان بيولوجي له حاجات حياتية وكيان اجتماعي له حاجات اجتماعية، وكيان عقلي له حاجات عقلية، لإضافة إلى كونه كياناً تاريخياً فهو يولد ويحي ويموت (أبو مرق، ١٣٦: ١٩٩٣).

كذلك أقر لنا القرآن الكريم على حاجات التقدير قال تعالى: " ولا تبخسوا الناس أشياءهم" (الأعراف، ٨٥).

وضح لنا القرآن الكريم حاجات تحقيق الأمن و العدل و المساواة قال تعالى: " و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين" (الحجرات، ٩).

كذلك مفهوم الانتماء في الإسلام يختلف عن مفهوم الانتماء القومي أو القبلي أو العشائري، بل الأهم من ذلك هو الانتماء العقدي، فإن رابطة العقيدة أقوى من رابطة المصالح النفعية، قال تعالى: " إنه ليس من أهلك" (هود، ٤٦).

نظرية بياجيه في الارتقاء الإنساني: لقد ركز جان بياجيه على نمو المفاهيم الأساسية لدى الطفل مثل مفهوم الأشياء والزمن والمكان والعدد، وقدم عدة مراحل مختلفة يتطور فيها الذكاء والتفكير، فقسم مراحل العمر إلى أربع مراحل وهي : المرحلة الحس حركية، وتمتد طوال العامين الأولين فيكتسب الطفل القدرة على التفكير والاستنتاج من خلال الصور العقلية الحسية، وليس عن طريق اللغة المجردة، ومرحلة ما قبل العمليات: وتتراوح من سنتين إلى سبع سنوات، ويكتسب الطفل نمو اللغة والتمركز حول الذات ويبدأ بالاهتمام بالتفكير الرمزي، فيتعرف على الكلمات والرموز من خلال ما يسمع، ومرحلة العمليات المادية: وتمتد من (٧ - ١٢) سنة حيث يتم تصنيف الأشياء المادية والخبرات إلى فئات مادية، وبداية فهم العلاقات بين الفئات، ويبدأ بالمعالجات الفكرية بواسطة المخ بدلاً من العمليات المحسوسة، وأخيراً مرحلة العمليات المجردة (الشكلية): وتتراوح من (١٢ - ١٥) تقريباً فينمو التفكير ويكتسب القدرة على الوصول إلى حل واستنتاج منطقي من خلال استخدام عمليات شبه معقدة من حيث التفكير الرمزي أو التجريدي (أبو مرق، ٢٠٠٣: ١٣٨-١٣٩).

ويذكر عدس وطوق (١٩٩٨:١٠٣) أن بياجيه تناول النمو الخلفي فكما أن الطفل في مرحلة ما قبل العمليات يمر في طور الكلام المتمركز حول الذات، وكما أن تفكيره محدد بعدم قدرته على استخدام عمليات عقلية أبعد من حدود ما يرى ويحس مباشرة، فإن أحكامه كذلك تتأثر بعد قدرته على اعتبار وجهات نظر الآخرين، وبعدم قدرته على التفكير في أكثر من شيء واحد في الوقت الواحد، وهذا ما جعل بياجيه يدرس الواقعية الأخلاقية، عن طريق مواقف يسأل الطفل فيها أن يقيم مشاعر الذنب عند طفلين: الأول يريد أن يساعد والده عن طريق ملء فلم الحبر لوالده ولكنه يترك بقعة كبيرة على غطاء الطاولة والآخر يقرر أن يلعب بقلم الحبر مما يؤدي إلى أن يترك بقعة حبر صغيرة على الغطاء، فالطفل الصغير

يركز على مقدار العطب الذي خلفه، وليس على الأكبر هو أكبر ذنب على الرغم من أن نواياه كانت حسنة، وهذا ما يسمى بالواقعية الأخلاقية، وذلك لأن الطفل الصغير يركز على الجانب الواقعي أو المادي من الأشياء وتنعكس الواقعية الأخلاقية أيضاً عن طريق تفسير الطفل السطحي للقوانين، وتركز الطفل حول الذات إذ إن ذلك يمنعه من أن يرى وجهات نظر مختلفة عن وجهة نظره.

ومن هذا المنطلق يتبين أن بياحيه تناول دراسة النمو الخلقي على اعتبار أنه وجه للنمو المعرفي أو العقلي وأن النمو الخلقي من السهل فهمه عن طريق فهم مراحل النمو المعرفي للطفل.

حقيقة لا يوجد أي نظرية من النظريات النفسية أو التربوية أو الاجتماعية أو الفسيولوجية، جسدت التسلسل الارتقائي للإنسان كما ذكره ووصفه القرآن الكريم، فوصف العمليات الارتقائية المختلفة بأعلى وأرقى صورها المتعددة والمتعلقة بالشخصية الإنسانية، كالجانب الجسمي والعقلي والنفسي والروحي، والاجتماعي، والأخلاقي، بدءاً من لا شيء يذكر، لى كونه بويضة مخصبة، وصولاً إلى مراحل الارتقاء الأخرى نحو: الطفولة والشباب والشيخوخة.

التوصيات :

- ١- المساهمة في تعديل الإدراك النمطي المشوه للمسلمين لدى غيرهم.
- ٢- المساهمة في توطين العلوم النفسية في البيئات الإسلامية.
- ٣- المساهمة في رفع الوعي لدى المشتغلين بعلم النفس وطلابه بضرورة ضبط الممارسات المهنية والبحثية وفق معطيات الهدي الرباني.
- ٤- المساهمة في توثيق الروابط بين علماء النفس المسلمين وتوحيد جهودهم في تقديم الحلول الناجعة للمشكلات الفردية والاجتماعية المعاصرة.
- ٥- المساهمة في ترسيخ الوسطية منهجا وسلوكا من خلال تأصيل وأسلمة العلوم النفسية.
- ٦- خلق فرصة للحوار والتلاقح العلمي والفكري بين مختلف الرؤى النفسية.
- ٧- جهود علماء النفس المسلمين المعاصرين... المنجزات .. التطلعات ... الموجّهات.
- ٨- العمل النفسي للعلماء المسلمين وتفاعلات العولمة والحوار الحضاري.
- ٩- منهجية العمل النفسي الإسلامي بين النظرية والتطبيق.
- ١٠- الرؤى الإسلامية لمستقبل البحث في ميادين علم النفس.
- ١١- المفاهيم النفسية في التراث النفسي الإسلامي وعلم النفس الحديث.

١٢- من الضروري أن يعني علماء النفس في البلاد الإسلامية بإجراء البحوث الميدانية والتجريبية في المجتمعات الإسلامية لحل مشكلات الإنسان المسلم المعاصر من وجهة نظر إسلامية.

١٣- عقد الندوات والمؤتمرات العلمية المحلية والدولية التي يدعى إليها علماء النفس وعلماء الشريعة وأصول الفقه، في شتى الجامعات المختلفة.

١٤- إعادة كتابة علم النفس في 'طار إسلامي'.

المراجع والمصادر:

* القرآن تَلْكَرِيْبِيْلٌ: مَرَّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ { (الواقعة، الآية: ٨٠)

- ١- ابن خلكان (د.ت): وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت.
- ٢- ابن كثير (د.ت): البداية والنهاية، ج١٧، مطبعة السعادة، القاهرة.
- ٣- ابن قيم الجوزية (١٩٧١): تحفة المودود بأحكام المولود، مكتبة دار البيان، دمشق.
- ٤- إجلال محمد سري (٢٠٠٠): علم النفس العلاجي، ط٢، عالم الكتب، القاهرة.
- ٥- أحمد بن حنبل (ب،ت): مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
- ٦- إسعاد عبد العظيم البنا (١٩٩٠): "دور الأدعية والأذكار في علاج القلق كأحد طرق العلاج النفسي الديني - دراسة تجريبية"، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، المؤتمر السادس لعلم النفس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٦٥-٩٠.

- ٧- أبو حامد الغزالي (د.ت.): **إحياء علوم الدين**، ج ٣، دار المعرفة، بيروت.
- ٨- أبو العباس بن محمد الصفهائي الأندلسي المعروف بابن العريف (١٩٨٠): **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٩- جمال زكي أبو مرق (٢٠٠٣): **سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة**، مطبعة الرابطة، الخليل.
- ١٠- حامد زهران (١٩٨٥): **دور الإرشاد المنبثق من الشريعة الإسلامية في معالجة مشكلات الشباب العربي المعاصر**، المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض.
- ١١- حامد زهران (١٩٨٩): **التوجيه والإرشاد النفسي**، ط ٢، مطبعة جامعة دمشق، دمشق.
- ١٢- حامد زهران (١٩٩٧): **علم النفس الاجتماعي**، ط ٤، عالم الكتب، القاهرة.
- ١٣- حامد زهران (٢٠٠٢): **التوجيه والإرشاد النفسي**، ط ٣، عالم الكتب، القاهرة.
- ١٤- رشاد علي عبد العزيز (١٩٩٣): "أثر التدين على مرض الاكتئاب"، **مجلة الصحة النفسية**، العدد الثامن، الجمعية النفسية اليمنية، القاهرة، ص ٢٩-٣١.
- ١٥- رشاد علي موسى، ومحمد يوسف محمود (٢٠٠٠): **أثر الدعاء كأسلوب إرشادي نفسي في تخفيض حدّة بعض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى عينة من طالبات الجامعة الملتمزمات وغير الملتمزمات دينياً**، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة.
- ١٦- الزبير بشير طه (١٩٨٩): "العلاج القرآني للسلوك الإدراكي"، أبحاث ندوة علم النفس، **المعهد العالمي للفكر الإسلامي**، بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية، القاهرة، ص ٦٥-٧٤.
- ١٧- سامر جميل رضوان (٢٠١٠): **شبكة العلوم النفسية العربية**، وقد تم الإطلاع على المادة في مايو من خلال الموقع الإلكتروني التالي:
<http://www.arabpsynet.com/archives/op/OP.Samer.PsyTpy.op.htm>
- ١٨- محمد عز الدين توفيق (٢٠٠٢): **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي**، ط ٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- ١٩- مجمع اللغة العربية (د.ت.): **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر.
- ٢٠- طريفة سعود الشويعر (١٩٨٨): "الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي"، رسالة ماجستير منشورة، قسم التربية وعلم النفس، كلية البنات، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة.
- ٢١- محمد عثمان نجاتي (١٩٩٢): **علم النفس والحياة - مدخل إلى علم النفس وتطبيقاته في الحياة**، ط ١٣، دار القلم، الكويت.
- ٢٢- محمد عثمان نجاتي (١٩٩٣): **الدراسات النفسانية عند علماء المسلمين**، دار الشروق، القاهرة.

- ٢٣- عبد الرحمن بدوي (١٩٨٠): أبو علي أحمد بن محمد مسكويه الحكمة الخالدة، ط٢، دار الأندلس ، بيروت.
- ٢٤- فتح الله خليف (١٩٧٧) : فخر الدين الرازي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، مصر.
- ٢٥- محمد يوسف موسى (١٩٦٢): ابن تيمية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت.
- ٢٦- عبد العظيم عبد السلام شرف الدين (١٩٨٤) : ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، ط٣، دار القلم، الكويت.
- ٢٧- عبد الفتاح أحمد فؤاد (١٩٤٧): مسكويه، دار الكتاب الليبي، بنغازي، ليبيا .
- ٢٨- عبد الفتاح الهمص (٢٠٠٣): " مدى فاعلية العلاج الديني في تخفيض القلق لدى الشباب الفلسطيني في محافظات غزة"، رسالة ماجستير، كلية التربية، برنامج الدراسات العليا المشترك بين جامعة عين شمس والأقصى.
- ٢٩- عبد اللطيف خليفة (١٩٩٠): سيكولوجية الاتجاهات ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٣٠- عبد الرحمن عدي ومحبي الدين توك (١٩٩٨): المدخل لعلم النفس، ط٥، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.
- ٣١- عزة عبد العظيم الطويل (١٩٧٧): دراسات نفسية وتأملات قرآنية، مكتبة الثقافة ، الاسكندرية.
- ٣٢- علي زيعور (١٩٨٠) : مذاهب علم النفس، ط٣، دار الأندلس.
- ٣٣- عمر فروخ (١٩٧٩): تاريخ الفكر العربي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت.

